الجـــزء الثـانى

محتويات الجزء الثانى

الصفحة

مقدمة المؤلف ٣٧٧

البـــاب الأول
تأثير الديمقراطية فى الحركة العقلية فى الولايات المتحدة

الفصـــل الأول : منهج الأمريكيين الفلسفى ٣٨٠

الفصـــل الثـانى : مصدر معتقدات الشعوب الديمقراطية الرئيسى ٣٨٥

الفصـــل الثـالث : الأمريكيون أميل إلى الأخذ بالمعانى العامة والمدركات الكلية ، وأكثر تذوقاً لها من أجدادهم الانجليز ٣٨٩

الفصـــل الرابع : الأمريكيون لا يقبلون على المعانى العامة فى الشئون السياسية إقبال الفرنسيين عليها ٣٩٤

الفصـــل الخامس : استفادة الدين من النزعات الديمقراطية فى الولايات المتحدة ٣٩٦

الفصـــل السادس : تقدم المذهب الكاثوليكى فى الولايات المتحدة ٤٠٤

الفصـــل السابع : ميل الأمم الديمقراطية إلى القول بالحلول ٤٠٦

الفصـــل الثـامن : أوحت المساواة بين الأمريكيين بأن قابلية الإنسان للكمال لا نهاية لها ٤٠٨

الفصـــل التاسع : مثل الأمريكيين ليس دليلاً على عدم مقدرة الناس فى الأمم الديمقراطية فى ميدان العلوم والآداب ، ولا على عدم ميلهم إليها ٤١٠

الفصـــل العاشـر : الأمريكيون يؤثرون دائماً العلوم العملية على النظرية . ٤١٥

الفصل الحادى عشر : الروح التى يتعهد بها الأمريكيون الفنون ٤٢٣

الفصل الثانى عشر : يقيم الأمريكيون بضع نصب تذكارية قمئة تافهة ، وأخرى بالغة الفخامة ٤٢٨

الفصل الثالث عشر : خصائص الأدب فى العصور الديمقراطية ٤٣٠

الفصل الرابع عشر : حرفة الأدب ٤٣٥

الفصل الخامس عشر : دراسة الآداب الإغريقية واللاتينية تفيد الجماعات الديمقراطية بوجه خاص ٤٣٦

الفصل السادس عشر : أثر الديمقراطية الأمريكية فى اللغة الإنجليزية ٤٣٨

الفصل السابع عشر : بعض مصادر الشعر فى الأمم الديمقراطية ٤٤٤

الفصل الثامن عشر : كثيراً ما يصطنع الكتاب والخطباء الأمريكيون أسلوباً مفخماً ٤٥٠

الصفحة

الفصل التاسع عشر : ملاحظات على المسرح عند الأمم الديمقراطية ٤٥٢
الفصل العشرون : بعض خصائص المؤرخين فى العصور الديمقراطية ٤٥٧
الفصل الحادى والعشرون : البلاغة البرلمانية فى الولايات المتحدة ٤٦١

الباب الثانى
تأثير الديمقراطية فى مشاعر الأمريكيين وعواطفهم

الفصل الأول : الأمم الديمقراطية تحب المساواة حباً أقوى وأدوم من حبها الحرية ٤٦٨
الفصل الثانى : الفردية فى البلاد الديمقراطية ٤٧٢
الفصل الثالث : الفردية أقوى فى أعقاب ثورة ديمقراطية منها فى أى عصر آخر ٤٧٤
الفصل الرابع : يواجه الأمريكيون نتائج الفردية بإنشاء المؤسسات الحرة ٤٧٦
الفصل الخامس : استفادة الأمريكيين من الجمعيات العامة فى الحياة المدنية ٤٨٠
الفصل السادس : صلة الجمعيات العامة بالصحف ٤٨٥
الفصل السابع : صلة الجمعيات المدنية بالجماعات السياسية ٤٨٨
الفصل الثامن : الأمريكيون يقاومون الفردية بمبدأ المصلحة الشخصية بمعناه الصحيح ٤٩٣
الفصل التاسع : الأمريكيون يطبقون مبدأ المصلحة الشخصية بمعناه الصحيح على الشئون الدينية ٤٩٧
الفصل العاشر : ميل الأمريكيين إلى الرفاهية المادية ٤٩٩
الفصل الحادى عشر : ما يترتب على الغرام بالمتع الحسية من آثار خاصة فى البلاد الديمقراطية ٥٠٢
الفصل الثانى عشر : من الأمريكيين من يسرفون فى التعصب للناحية الروحية ٥٠٤
الفصل الثالث عشر : الأمريكيون قلقون على الرغم مما هم فيه من ازدهار .. ٥٠٦
الفصل الرابع عشر : الأمريكيون يجمعون بين الميل إلى الملذات الحسية ومحبة الحرية وبين العناية بالشئون العامة فى أمريكا ٥١٠
الفصل الخامس عشر : العقائد الدينية توجه أفكار الأمريكيين نحو المتع الروحية من آن لآخر ٥١٣
الفصل السادس عشر : الإفراط فى الاهتمام بالسعادة الدنيوية قد يؤدى إلى إضعافها ٥١٨

الصفحة

الفصل السابع عشر : من الأهمية بمكان أن يتجه النشاط الإنسانى إلى الغايات البعيدة المدى عندما تتساوى الأحوال الاجتماعية وينتشر التشكك بين الناس ٥١٩
الفصل الثامن عشر : كل مهنة شريفة محترمة فى نظر الأمريكيين ٥٢٢
الفصل التاسع عشر : معظم الأمريكيين يعملون فى المهن الصناعية ٥٢٤
الفصل العشرون : قد تؤدى الصناعة إلى قيام أرستقراطية ٥٢٨

الباب الثالث
تأثير الديمقراطية فى عادات الناس وأخلاقهم

الفصل الأول : تتهذب عادات الناس وتزداد رقة كلما تساوت أحوالهم الاجتماعية ٥٣٤
الفصل الثانى : الديمقراطية بسّطت العلاقات العادية بين الأمريكيين ويسّرتها ٥٣٩
الفصل الثالث : الأمريكيون قليلو الحساسية فى بلادهم ، شديدوها فى أوربا ٥٤٢
الفصل الرابع : نتائج الفصول الثلاثة السابقة ٥٤٦
الفصل الخامس :الديمقراطية تؤثر فى علاقات الخدم بالمخدومين ٥٤٨
الفصل السادس : تتجه المؤسسات والآداب العامة الديمقراطية إلى رفع الأجور وتقصير مدة الإيجارات الطويلة المدى ٥٥٦
الفصل السابع : تأثير الديمقراطية فى الأجور ٥٥٩
الفصل الثامن : تأثير الديمقراطية فى شئون الأسرة ٥٦٢
الفصل التاسع : تربية الفتاة فى الولايات المتحدة ٥٦٨
الفصل العاشر : الفتاة والزوجة ٥٧١
الفصل الحادى عشر : المساواة فى الأحوال الاجتماعية تعاون على صيانة الأخلاق الحميدة فى أمريكا ٥٧٤
الفصل الثانى عشر : المساواة بين الجنسين فى نظر الأمريكيين ٥٨٠
الفصل الثالث عشر : مبدأ المساواة قسّم الأمريكيين جماعات كثيرة صغيرة خاصة ٥٨٤
الفصل الرابع عشر : آراء فى آداب الأمريكيين ٥٨٦
الفصل الخامس عشر : رزانة الأمريكيين لا تمنعهم من أن يأتوا كثيراً بأفعال فيها تهور واندفاع ٥٩٠
الفصل السادس عشر : غرور الأمريكيين القومى أكثر قلقاً وأعسر إرضاء من غرور الإنجليز ٥٩٤

الصفحة

الفصل السابع عشر : المجتمع فى الولايات المتحدة مستثار ونمطى رتيب فى آن واحد ٥٩٧
الفصل الثامن عشر : «الشرف» فى الولايات المتحدة وفى سائر البلاد الديمقراطية ٥٩٩
الفصل التاسع عشر : فى الولايات المتحدة كثرة من الرجال الطموحين وقلة من المطامح السامية ٦١١
الفصل العشرون : حرفة تصيد الوظائف فى بعض البلاد الديمقراطية ٦١٧
الفصل الحادى والعشرون : الثورات الكبرى ستقل ٦١٩
الفصل الثانى والعشرون : الأمم الديمقراطية راغبة فى السلام على حين ترغب جيوشها فى الحرب ٦٣١
الفصل الثالث والعشرون : أى الطبقات أكثر ميلاً إلى الحرب وإلى الثورة فى الجيوش الديمقراطية ٦٣٨
الفصل الرابع والعشرون : الأسباب التى جعلت الجيوش الديمقراطية أضعف من غيرها فى بداية المعركة وأفظع منها فى الحروب الطويلة المدى ٦٤٢
الفصل الخامس والعشرن : النظام فى الجيوش الديمقراطية ٦٤٧
الفصل السادس والعشرون: طائفة من الآراء عن الحروب فى البلاد الديمقراطية ... ٦٤٩

الباب الرابع

تأثير الأفكار والعواطف الديمقراطية فى المجتمع السياسى

الفصل الأول : المساواة تخلق فى النفوس ميلاً إلى المؤسسات الحرة ٦٥٦
الفصل الثانى : آراء الأمم الديمقراطية فى شئون الحكم تتجه بطبيعة الحال إلى تركيز السلطات ٦٥٨
الفصل الثالث : اتفاق عواطف الأمم الديمقراطية وآرائها على تركيز السلطة السياسية ٦٦١
الفصل الرابع : بعض الأسباب الخاصة والعارضة التى تؤدى بالشعب الديمقراطى إلى تركيز سلطات الحكومة أو إلى الابتعاد بها عنه ٦٦٤
الفصل الخامس :السلطة العليا تزداد فى الأمم الأوربية فى عصرنا الحاضر مع أن الملوك فيها أصبحوا أقل استقراراً ٦٧٠
الفصل السادس : نوع الاستبداد الذى ينبغى أن تخشاه الأمم الديمقراطية ٦٨١
الفصل السابع : تتمة الفصول السابقة ٦٨٧
الفصل الثامن : نظرة عامة إلى الموضوع ٦٩٦

مقدمة المؤلف

يعيش الأمريكيون فى حالة اجتماعية ديمقراطية ، أوحت إليهم ، بطبيعة الحال ، بقوانين معينة ، وبأخلاق سياسية معينة ؛ وغرست فى نفوسهم طائفة من الآراء والعواطف لم تكن معروفة فى المجتمعات الأرستقراطية القديمة فى أوربا ، فعدلت علاقات الناس القديمة بعضهم ببعض ، أو هدمتها ، وأقامت أخرى غيرها جديدة . وبذلك تغيرت ملامح المجتمع المدنى تغيراً كبيراً ، لايقل عن تغير معالم العالم السياسى وملامحه .

وقد عالجت الموضوع الأول فى الكتاب الذى نشرته منذ خمس سنوات عن الديمقراطية فى أمريكا ، أما الموضوع الثانى فسأتناوله فى هذا الكتاب . فهذان الكتابان متكاملان ، يتمم أحدهما الآخر ، فهما فى الحقيقة كتاب واحد .

وإنى لأبادر وأحذر القارىء من غلطة تؤذينى بالغ الأذى ، إن هو استنبط من كثرة ما أعزوه من النتائج المختلفة إلى مبدأ المساواة ، أنى أعد هذا المبدأ المسئول الأول والوحيد عن كل مايقع فى أيامنا من أحداث . ففى هذا اتهام لى بضيق الأفق وقصر النظر[1] .

هذا ، وقد ذاعت فى عصرنا طائفة من الآراء ، وبدت عواطف ونزعات ، ترجع أصولها إلى ظروف وأحوال لاعلاقة لها بمبدأ المساواة هذا ، أو هى معادية له كل العداء . فإن أنا اتخذت الولايات المتحدة مثلا . لسهل علىَّ التدليل على أن طبيعة البلاد ، وأصل سكانها ، وديانة مستوطنيها الأول ، وما اكتسبوه من معرفة وثقافة ، وعاداتهم القديمة – قد أثرت كلها ، وما زالت تؤثر ، مستقلة عن الديمقراطية ، أبلغ تأثير فى طرائق تفكيرهم ومشاعرهم . ففى أوربا نفسها أسباب أخرى مختلفة ، مستقلة عن مبدأ المساواة ، تفسر لنا الكثير مما يجرى فيها .

هذا ، وإنى لأعترف بوجود جميع هذه الأسباب المختلفة ، وبمدى تأثيرها البالغ ، إلا أن موضوعى لايقتضينى أن أتحدث عنها . فلم أتعهد بأن أبين أصل كل نزعاتنا وأفكارنا وأشرح طبيعتها ، ولكننى أحاول أن أظهر مدى تأثير هذه النزعات وتلك الأفكار ، بإقامة مبدأ المساواة بين الناس فى أحوالهم الاجتماعية .

ولما كنت مقتنعاً كل الاقتناع بأن الثورة الديمقراطية التى نراها الآن ، حقيقة قائمة

---

(١) فى هذا الاعتذار . رد على ما يمكن أن يوجه إلى توكفيل من نقدبشأن إغفاله ماللكثير من العوامل الأخرى من تأثير فى تطور الأحوال السياسية فى الشعوب المختلفة . مثل العوامل التاريخية والجغرافية . والاجتماعية .

لا قبل لأحد بمقاومتها؛ وليس من المرغوب فيه، ولا من الحزم، أن نعاديها فقد يدهش بعض الناس أن يروا أنى قد وجهت، فى أثناء هذا الكتاب، عبارات قوية من النقد واللوم إلى الشعوب الديمقراطية التى خلقتها هذه الثورة. وسبب ذلك بسيط، فما أنا بخصم للديمقراطية؛ ولذا أردت أن أتحدث عنها فى صراحة وإخلاص. فالناس لا يتقبلون الحقيقة من أعدائهم، ويندر كل الندرة أن يقدمها لهم أصدقاؤهم، ولذلك عمدت إلى ذكر الحقيقة لهم صريحة سافرة، وفى اعتقادى أن أشخاصاً كثيرين سيتولون إخبار الناس بالفوائد التى يأملون أن يحصلوا عليها من إقامة المساواة بينهم، ولكن ما أقل الذين يجرؤون على الإشارة، ولو من بعيد، إلى الأخطار التى تهددهم بها هذه المساواة! فلا غرو إن وجهت نظرى إلى هذه الأخطار أصلاً. ولما كنت أعتقد أنى قد وقفت على طبيعة هذه الأخطار، وأدركتها إدراكاً جلياً، فمن الجبن أن ألتزم الصمت ولا أقول عنها شيئاً.

وإنى لأرجو أن يجد القارىء فى هذا الجزء من النزاهة ما يبدو أنهم قد لحظوه منها فى سابقه. ولما كنت أعيش وسط آراء متناقضة، قسّمت أهل بلادى (فرنسا) طوائف وشيعاً، حاولت أن أتحد فى نفسى كلّ كراهية أشعر بها نحو أى طائفة منها. فإن حدث أن صادف القارىء فى الكتاب عبارة واحدة يقصد بها تملق حزب من تلك الأحزاب الكبيرة التى استثارت البلاد وهاجتها، أو أية طائفة من الطوائف الصغرى التى تزعجها وتضعفها الآن، فليرفع صوته ويتهمنى.

إن الموضوع الذى تصديت لمعالجته هنا من كل جوانبه، موضوع واسع كل السعة، فهو يشمل غالبية المشاعر والآراء التى ترتبت على قيام الأحوال الجديدة فى شئون العالم، وهو موضوع فوق طاقتى، ما فى ذلك شك. ففى معالجتى له لم أستطع أن أرضى نفسى تمام الرضى، فإن عجزت عن إدراك الأهداف التى حاولت أن أبلغها فسوف ينصفنى القراء ويقولون، على الأقل، أنى قد تصورت مشروعى وسرت فيه بروح تجعلنى أهلاً لأن أظفر فيه بالنجاح.